

دور الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعوين

د/عبدالعزیز بن عبدالله بن عبدالعزیز الزاحم

أستاذ مساعد - قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والدراسات

الإنسانية بجامعة شقراء المملكة العربية السعودية

من ٣٢٥ إلى ٣٧٢



دور الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعوين

عبدالعزیز بن عبدالله بن عبدالعزیز الزاحم

قسم الدراسات الإسلامية - كلية العلوم والدراسات الإنسانية بجامعة شقراء -
المملكة العربية السعودية

البريد الإلكتروني: aalzahem@su.edu.sa

المُلخَص

أَنَّ حبَّ الوطن، والانتماء إليه؛ من أهم القضايا التي يجب أن تحظى باهتمام الباحثين، كيف لا وهي من أجَلِّ النعم التي أنعم الله عز وجل بها على الإنسان، فعلى أرضه وُلد ويعيش، يشرب ماءه، ويتنسم هواه، ويبني ما استطاع بناءه من المساكن، والقصور.

ولقد برزت هذه الأهمية بصورة أكبر وأوضح في أيامنا هذه، حينما قام أصحاب الأفكار المتطرفة بإثارة الفتن في البلاد، وإحداث الواقعة بين العباد؛ لتحقير شأن الأوطان، أو الحديث عنها بسخرية واستهزاء؛ للتهوين من شأنها، والنيل من مكانتها، فيتحول ذلك إلى عداٍ وتدمير، مما يحتم المسؤولية العظمى على الجميع -خاصة الدعاة-، فهُم رجال يعملون في كل الميادين، ولهم حضور وتأثير في شتى المجالات، ولديهم معرفة وثيقة بأحوال المدعوين وطبائعهم المختلفة

وإن من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة هي إن أهمية المرجعية الدينية في تعزيز الهوية الوطنية، وتعزيز الهوية الوطنية من الأمور التي قررها الإسلام وأكدها، وتعزيز الهوية الوطنية يتطلب ملاءمة وسائل الدعوة مع مستجدات العصر، والحفاظ على الهوية الوطنية لا يعني الانغلاق على الذات بعيداً عن الثقافات الأخرى، والدعوة إلى استيعاب المستجدات لا يعني طمس الهوية الوطنية للشعوب، وإلغاء خصوصيتها.

الكلمات المفتاحية: الدعوة ، الدعاة ، تعزيز ، هوية ، الوطنية ، المدعوين.

The Role Of Preachers In Promoting The National Identity Of The Invitees

Abdulaziz Bin Abdullah Bin Abdulaziz Al-Za'am

Department Of Islamic Studies - Faculty Of Science and Humanities At The University Of shuqara', Saudi Arabia

Email: aalzahem@su.edu.sa

Abstract:

The love of the homeland, and belonging to it, is one of the most important issues that must be of interest to researchers, how not to be for the blessings that God has bestowed on man, on his land a boy who lives, drinks his water, forgets his air, and builds what he has been able to build from the dwellings and palaces.

This importance has become even more evident nowadays, when the authors of extremist ideas have provoked sedition in the country, provoking discord among the people, insulting the homelands, or speaking of them with ridicule and mockery;

One of the most important findings of this study is that the importance of religious reference in promoting national identity, strengthening national identity is something that Islam has decided and affirmed, and strengthening the national identity requires the compatibility of means of advocacy with the new ones of the times, and preserving the national identity does not mean closing itself away from other cultures, and calling for the absorption of new developments does not mean obliterating the national identity of peoples, and abolishing their privacy..

Keywords: Advocacy, Preachers, Promotion, Identity, Patriotism, Invited .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين ﷺ، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد،

مما لا شك فيه أنّ حبّ الوطن، والانتماء إليه؛ من أهم القضايا التي يجب أن تحظى باهتمام الباحثين، كيف لا وهي من أجلّ النعم التي أنعم الله ﷻ بها على الإنسان، فعلى أرضه وُلد ويعيش، يشرب مائه، ويتنسم هواه، ويبنى ما استطاع بناءه من المساكن، والقصور، ولذلك جُبل على حبه، وتنعكس آثار ذلك عند مفارقتة له، حيث يشعر بالضيق والألم والمعاناة، ولذلك فإن القرآن الكريم حينما تحدث عن المهاجرين وأراد إعلاء شأنهم؛ صدر حديثه عنهم بأنهم قد بذلوا أعزّ شيء وأنفسه في سبيل الله ﷻ، حيث تركوا أوطانهم في سبيل رفعة هذا الدين مع ما فيه من مغالبة الفطرة والطبيعة، وما جُبلت عليه النفوس، (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (١)، وقد تجد بلادًا لا تستطيع العيش فيها، من حرارة جوّها أو برودته، ولكن أهلها يعيشون فيها سعداء، فهم في وطنهم الذي نشؤوا في أرضه، وتربوا وترعرعوا على ترابه، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وذلك في عمق الإحساس بقيمة الانتماء للوطن حتى أصبح عقيدة دينية راسخة، وضرورة لتنفيذ التعاليم والأحكام التي كلف الله ﷻ بها عباده، فلولا الوطن ما حُفظت مقاصد الشريعة، ووجود الأحكام بلا أرض تُنفذ عليها؛ ضرب من الخيال.

ولقد برزت هذه الأهمية بصورة أكبر وأوضح في أيامنا هذه، حينما قام أصحاب الأفكار المتطرفة بإثارة الفتن في البلاد، وإحداث الواقعة بين العباد؛ لتحقيق شأن الأوطان، أو الحديث عنها بسخرية واستهزاء؛ للتهوين من شأنها، والنيل

(١) سورة الحشر، الآية: (٨).

من مكانتها، فيتحول ذلك إلى عداٍ وتدمير، مما يحتم المسؤولية العظمى على الجميع - خاصة الدعاة-، فهُم رجال يعملون في كل الميادين، ولهم حضور وتأثير في شتى المجالات، ولديهم معرفة وثيقة بأحوال المدعويين وطبائعهم المختلفة، وذلك من خلال خطابهم الوَسْطِي المعتدل لنشر التعاليم الصحيحة للإسلام في النهوض بالوطن، وصناعة حضارته التي تختلف من زمان لآخر وفقاً للآمال والطموح التي تنشدها الدولة، والخطاب الديني ليس مجرد كلمات تلقى، ولكنه رسالة لها مضمونٌ فكريٌّ واجتماعيٌّ وسلوكيٌّ، وله أثر كبير في توجيه المدعويين، وتهيئة طاقاتهم لمواجهة تغييرات الحياة نحو الكمال الخلقي، ومن هنا فإنّ للدعاة دوراً بارزاً في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين، وقيام الوطن قوياً عزيزاً آمناً مستقراً.

مشكلة الدراسة

يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

- أولاً: ما واقع الدعاة في تحقيق الانتماء للهوية الوطنية لدى المدعويين؟
 ثانياً: ما منهج الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين؟
 ثالثاً: ما دور الدعاة في مواجهة معوقات تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين؟

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في عدة نقاط منها:-

أولاً: يُعد المنهج الإسلامي في تعزيز الهوية الوطنية، منهجاً عريقاً وأصيلًا، فقد أثمر كثيراً من النماذج البارزة التي خدمت دينها ووطنها بما جعلنا في أشد الاحتياج للتطلع إلى هذا المنهج؛ لنستفيد من تجارب الماضي ومعطيات الحاضر.

ثانياً: الوطن هو الوعاء الجامع لكل مصالح البلاد والعباد، والتهاون في حقّه، يؤدي إلى الإطاحة بهذه المصالح، ومن لا وطن له، لا كرامة له، يتضح ذلك عندما كانت الأوطان فيها لغير أهلها، وذلك حينما بسط الاستعمار الغربي نفوذه عليها.

ثالثاً: أهمية المرجعية الدينية في تعزيز الهوية الوطنية، فالشريعة الإسلامية مليئة بالتوجيهات التي تُعد مَعْلَمًا نسير عليه في حياتنا، للوقاية من العلل على اختلاف المشارب والأهواء.

أهداف الدراسة

أولاً: إبراز دور الدعاة في تعزيز وترسيخ الهوية الوطنية.

ثانياً: التعرف على مقتضيات تعزيز الهوية الوطنية.

ثالثاً: التعرف على أهم الوسائل الدعوية في تعزيز الهوية الوطنية وأساليبها.

رابعاً: إبراز أهم المعوقات التي تواجه الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية وسبل الوقاية منها.

منهج الدراسة

سأقوم -بعون الله وتوفيقه- بهذه الدراسة معتمداً على المناهج العلمية التي تخدم البحث في كافة جوانبه، ومن هذه المناهج العلمية: المنهج الاستردادي^(١)، وكذلك المنهج الاستنباطي^(٢)، وبعض المناهج العلمية الأخرى التي لا غنى عن الاستفادة منها في البحث.

الدراسات السابقة

بعد الاستقصاء لم أجد دراسة علمية مستقلة في هذا الموضوع (حسب علمي واطلاعي) بهذا العنوان، وإن كان هناك بحث بعنوان: (دور الأئمة والخطباء في مجال تحقيق الأمن الفكري والانتماء الوطني)، د/ خالد بن صالح محمد باحجزر، وهو عبارة عن بحث مقدّم للملتقى العلمي الأول للأئمة والخطباء بجامعة طيبة ١٧/ ١٨ شوال ١٤٣٠هـ، تحدّث فيه عن تحقيق الأمن الفكري ولم يتعرض للحديث عن الانتماء الوطني إلا في عبارات متناثرة بين البحث،

(١) وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أيّاً كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية، مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، ص ١٩٤، ط ٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٧م.

(٢) وهو مجموعة من الحدود الأولية والتعريفات والبيدييات والمصادرات في إطار مجموعة من قواعد الاشتقاق الصارمة إلى ما يترتب من نتائج أو نظريات، المدخل إلى مناهج البحث العلمي، محمد قاسم، ص ٥٨، ط ١، دار النهضة العربية، ١٩٩٩م.

وكذلك المؤتمر الدولي للهوية الوطنية في ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ بجامعة شقراء.

خطة الدراسة

وتشتمل على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة، وهي كالتالي:
المقدمة: وتشتمل على مشكلة الدراسة وأهميتها والهدف منها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.

التمهيد: ويشتمل على التعريف بمصطلحات الدراسة.
الفصل الأول: واقع الدعاة في تحقيق الانتماء للهوية الوطنية لدى المدعويين وبه ثلاثة مباحث: المبحث الأول: التأصيل الديني لتعزيز الهوية الوطنية.
المبحث الثاني: الوسائل الدعوية المعاصرة في تشكيل الهوية الوطنية لدى المدعويين.

المبحث الثالث: دور المؤسسات الدعوية في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين.

الفصل الثاني: منهج الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين وبه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مراعاة الثوابت الدينية والقيم الخلقية واستيعاب المستجدات.
المبحث الثاني: الاعتصام بمنهج الوسطية والاعتدال.
المبحث الثالث: الالتزام بالقوانين الوطنية حفاظاً على الأمن العام.

الفصل الثالث بعنوان: دور الدعاة في مواجهة معوقات تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين وسبل الوقاية منها وبه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التحذير من خطر الجماعات المتطرفة والدعوات الهدامة.
المبحث الثاني: تصحيح المفاهيم المغلوطة وبيان زيفها.

المبحث الثالث: التصدي للثقافة الغربية المضرة بالمدعويين وبيان خطورة التغريب.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

التمهيد

أولاً: تعريف الدور.

من معاني الدور في اللغة: المهمة والوظيفة^(١)، فيقال: قام بدور رئيس في المعركة: أي لعب دوراً، وشارك بنصيب كبير فيها، أو السلوك المتوقع من الفرد في الجماعة.

والدور في الاصطلاح: هو "وظيفة الفرد في الجماعة، أو الدور الذي يلعبه في جماعته"^(٢)، وعُرف أيضاً بأنه: "أنماط سلوكية تكون وحدة ذات معنى، وتبدو ملائمة لشخص يشغل مكانة معينة في المجتمع، أو يشغل مركزاً محدداً في علاقة شخصية متبادلة"^(٣)، وعلى ذلك فدور الدعاة هو الواجب أو المسؤولية التي يجب على الدعاة القيام بها، من خلال مهامهم ووظائفهم المنوطة بهم؛ لتعزيز الهوية الوطنية لدى المدعوين.

ثانياً: تعريف الدعاة

الدُّعَاةُ فِي اللُّغَةِ هُم: "قَوْمٌ يَدْعُونَ إِلَى بَيْعَةٍ هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ، وَاحِدُهُمْ دَاعٍ. وَرَجُلٌ دَاعِيَةٌ إِذَا كَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى بِدْعَةٍ أَوْ دِينٍ، أُدْخِلَتْ الْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ"^(٤)، و"الدَّاعِيَةُ" الَّذِي يَدْعُو إِلَى دِينٍ أَوْ فِكْرَةٍ"^(٥)، "وَيُطْلَقُ الدَّاعِي (عَلَى الْمُؤَدِّنِ) أَيْضاً، لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى مَا يَقْرَبُ مِنَ اللَّهِ"^(٦)، فالداعية في اللغة

(١) انظر معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عبد الحميد عمر وآخرون، ج ١، ص ٧٨٤، حرف: الدال، مادة: دور، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

(٢) علم الاجتماع التربوي، صلاح الدين شروخ، ص ١٢١، دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤ م.

(٣) طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، نبيل صادق، ص ٣٦٧، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨٣ م.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج ١٤، ص ٢٥٩، فصل الدال المهملة، دعا، دار صادر، بيروت الطبعة: ٣، ١٤١٤ هـ.

(٥) المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الدال، (دعا)، ص ٢٨٧، دار الدعوة.

(٦) تاج العروس، مرتضى الزبيدي، (فصل الدال مع الواو والياء)، (دعو)، ح ٣٨، ص ٤٧، دار الهداية.

يطلق على من يقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى، وعلى كل من يدعو إلى فكرة أو دين.

والدعاة في الاصطلاح هم: "المبشرون المُنذرون الحاملون صوت النبوة، المكلفون بالوصول بها إلى كل مكان في الوجود"^(١)، فالدعاة هم الذين يقومون بنشر الدعوة، وتعليم أحكام الإسلام وشرائعه، للوصول بالمدعوين إلى أحسن حال.

ثالثاً: معنى التعزيز

التعزيز في اللغة مأخوذ من العزّ: "والعزُّ في الأصل: القُوَّة والشِدَّة والغَلَبَةُ. والعزُّ والعِزَّة: الرِّفْعَةُ وَالإِمْتِنَاعُ"^(٢)، "وكل شيء صلب فقد استعزَّ وبه سمي العزاز من الأرض وهو الطين الصلب الذي لا يبلغ أن يكون حجارة"^(٣)، فالتعزيز في اللغة من معانيه: القوة والشدة والغلبة والصلابة.

وفي الاصطلاح: "التعزيز هو عملية تثبيت السلوك المناسب، أو زيادة احتمالات تكراره في المستقبل، وذلك بإضافة مثيرات إيجابية، أو إزالة مثيرات سلبية بعد حدوثه"^(٤)، فالتعزيز إثارة الدافع؛ لزيادة انتماء الهوية الوطنية، وبذل جهد أكبر لتحقيقها.

رابعاً: تعريف الهوية الوطنية

الهوية والهوية في اللغة "الهوية: موضع يهوي من عليه أي يسقط"^(٥)، وقيل: الهوية بُنرٌ بعيدة المهواة، وعرشها سقْفها المعمى عليها بالتراب فيعتر به واطنه فيقع فيها ويهلك"^(٦)، وقد استخدم هذا المصطلح - الهوية - حديثاً في:

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د/ أحمد غلوش، ص ٤٣٤، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، فصل العين المهملة، مادة: عزز، ج ٥، ص ٣٧٤.

(٣) جمهرة اللغة، الأزدي، حرف الرّاي وما بعده، ز ف ف، ج ١، ص ١٢٩، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(٤) التعزيز في الفكر التربوي الحديث، عناية حسن القبلي، ص ١١، أمام للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ.

(٥) لسان العرب، ابن منظور، فصل العين المهملة، الهوية، ج ٦، ص ٣١٦.

(٦) نفس المرجع السابق، ابن منظور، فصل الهاء، هوا، ج ١٥، ص ٤٧٣.

"حَقِيقَةُ الشَّيْءِ أَوْ الشَّخْصِ الَّتِي تَمِيْزُهُ عَنْ غَيْرِهِ وَبِطَاقَةِ يَثْبُتُ فِيهَا اسْمُ الشَّخْصِ وَجِنْسِيَّتُهُ وَمَوْلَدُهُ وَعَمَلُهُ"^(١)، فَالْهُوِيَّةُ مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْفِعْلِ هَوَى، الَّذِي يَعْنِي: السَّقُوطُ مِنْ عُلُوٍّ، أَوْ الْبُئْرُ الْبَعِيدَةُ الْقَعْرَ، وَاسْتَعْمَلْتُ حَدِيثًا بِمَعْنَى حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَتَمَيَّزُ بِهَا عَنْ غَيْرِهِ.

وَالْهُوِيَّةُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: "حَقِيقَةُ الشَّيْءِ مِنْ حَيْثُ تَمِيْزُهَا عَنْ غَيْرِهَا، وَتَسْمَى أَيْةً هَوِيَّةً: الذَّاتُ"^(٢)، وَبِذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُ مَعْنَاهَا فِي الْإِصْطِلَاحِ عَنْ مَعْنَاهَا اللَّغَوِيَّةِ الْحَدِيثِ.

وَالْوَطَنُ فِي اللُّغَةِ: "الْوَطَنُ: الْمَنْزَلُ تُقِيمُ بِهِ، وَهُوَ مَوْطِنُ الْإِنْسَانِ وَمَحَلُّهُ"^(٣)، "وَالْوَطَنُ: حَيْثُ أُوْطِنْتَ مِنْ بَلَدٍ أَوْ دَارٍ أَوْ مَكَانٍ يُقَالُ: أُوْطِنْتُ بِالْمَكَانِ وَوُطِنْتُ بِهِ"^(٤)، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْوَطَنُ مَفْهُومٌ يَشِيرُ إِلَى الْبَقْعَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الَّتِي يُولَدُ بِهَا الْإِنْسَانُ، أَوْ الْمَحَلِّ الَّذِي يَقِيمُ بِهِ.

وَالْهُوِيَّةُ الْوَطَنِيَّةُ كَمِصْطَلَحٍ مُرَكَّبٍ: "مَجْمُوعَةُ السَّمَاتِ وَالْخِصَائِصِ الْمَشْتَرَكَةِ الَّتِي تَمِيْزُ أُمَّةً أَوْ مَجْتَمَعًا أَوْ وَطَنًا مَعِيْنًا مِنْ غَيْرِهِ، يَعْتَزُّ بِهَا وَتَشْكَلُ جَوْهَرَ وَجُودِهِ، وَشَخْصِيَّتِهِ الْمَتَمَيِّزَةَ"^(٥)، كَالذِّينِ وَاللُّغَةِ، وَالثَّقَافَةِ وَالْعَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ.

خَامِسًا: تَعْرِيفَ الْمَدْعُوِّينَ

الْمَدْعُوُّ فِي اللُّغَةِ: اسْمُ مَفْعُولٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ دَعَا، يُقَالُ: "دَعَا الرَّجُلَ دَعْوًا وَدُعَاءً: نَادَاهُ، وَالْإِسْمُ الدَّعْوَةُ. وَدَعَوْتُ فَلَانًا أَيَّ صِحْتُ بِهِ وَاسْتَدْعَيْتُهُ"^(٦).

وَفِي الْإِصْطِلَاحِ هُوَ: "الْإِنْسَانُ -أَيُّ إِنْسَانٍ كَانَ- هُوَ الْمَدْعُوُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى"^(٧)، فَالْمَدْعُوُّ هُوَ كُلُّ مَنْ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ.

(١) المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، باب الهاء، ج ٢، ص ٩٨٨.
(٢) الهوية والتعليم، سعيد إسماعيل على، ص ٢٤، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: ٢٠٠٥م.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، فصل الواو، وطن، ج ١٣، ص ٤٥١.

(٤) جمهرة اللغة، الأزدي، باب الطاء والواو، طوه، ج ٢، ص ٩٢٨.

(٥) الهوية الثقافية الوطنية رؤية مستقبلية، حسن الكحلاني، العدد ١٢٣١، صحيفة ٢٦ سبتمبر.

(٦) لسان العرب، ابن منظور، فصل الدال المهملة، دعا، ج ١٤، ص ٢٥٨.

الفصل الأول

واقع الدعاة في تحقيق الانتماء للهوية الوطنية لدى المدعويين إن الدعوة الإسلامية لا يمكن أن تقوم بالدور المنوط بها؛ إلا إذا وجد الداعية الذي ينأى بالناس عن مزالق الضلال والانحراف، فهو محور العملية الدعوية، والعنصر الأهم فيها، حيث ينقل تعاليم الإسلام، ويوضحها للمدعويين، وينشر الثقافة الإسلامية؛ لتقوية الوازع الديني لديهم، وتشكيل عقولهم، ويوجههم من خلال الوسائل الدعوية المختلفة للتمسك بالهوية الوطنية المتمثلة في العقيدة الإسلامية، واللغة والثقافة، والمحافظة عليها، والتمييز بها بين الأمم، ويشهد التاريخ الإسلامي على عراقة المنهج الإسلامي وأصالته في تحقيق الهوية الوطنية لدى المدعويين، والتمسك بها، وعدم الاغترار بحال الآخرين وما هم عليه، وهذا ما سيتضح في هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول

التأصيل الديني لتعزيز الهوية الوطنية

إن تعزيز الهوية الوطنية أمرٌ عُرف في الإسلام، ودعا إليه، حيث جاء من منطلق إسلامي صحيح متأصل في النفوس، من خلال العقيدة الإسلامية التي لا يحيد عنها، ولا تنتهك بدعوى العصبية الممقوتة، وهناك الكثير من الأدلة التي تدعو المسلمين إلى تعزيز هويتهم التي تميزوا بها عن غيرهم من الأمم، ومنها:

أولاً: حثَّ القرآن الكريم على ضرورة التمسك بخصوصية الأمة الإسلامية، حيث جعل لكل أمة شريعةً ومنهجاً خاصاً بها، (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)^(١)، وهذا يوجب على الأمة الإسلامية أن تحافظ على وجودها، وأن تتمسك بمنهجها وشرعتها، وفي هذا المعنى من الروعة

(١) أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص ١٦٩، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٢) سورة المائدة، من الآية: (٤٨).

والعمق في تعزيز الهوية الوطنية ما هو واضح، وما يثير في نفوس المسلمين الاعتزاز بهذه الهوية الإسلامية.

ثانياً: لقد أمر الله ﷻ المسلمين بإلزام القبلة الخاصة بهم، (وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيَهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ^(١)، "أَيَّ فَالزُّمُوا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ قَبِلْتَكُمْ؛ فَاتَّكُم عَلَىٰ خَيْرَاتٍ مِنْ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَمَا فِي الدُّنْيَا فَلشَرَفِكُمْ بِقَبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، وَأَمَا فِي الْآخِرَةِ فَلِلثَّوَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي تَأْخُذُونَهُ عَلَىٰ انْقِيَادِكُمْ لِأَوَامِرِهِ؛ فَإِنَّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعَكُمْ" ^(٢)، فالإسلام حريص على عزة الأمة الإسلامية، والاحتفاظ بشخصيتها وهويتها التي تؤثر في الآخرين.

ثالثاً: من الأحاديث النبوية التي تؤكد تعزيز الهوية الإسلامية؛ ما جاء في التحذير من التشبه بالمشركين، فعن ابن عمر، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» ^(٣)، لتبقى الأمة الإسلامية محافظة على هويتها، مستقلة بذاتها، "لِأَنَّ الْمَشَابَهَةَ فِي بَعْضِ الْظَاهِرِ؛ يُوجِبُ الْمَقَارِبَةَ، وَنَوْعًا مِنَ الْمُنَاسَبَةِ، يُفْضِي إِلَى الْمُشَارَكَةِ فِي خَصَائِصِهِمُ الَّتِي انْفَرَدُوا بِهَا عَنْ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ، وَذَلِكَ يَجْرُ إِلَى فَسَادِ عَرِيضٍ"، مما يوجب تمييز المسلمين، واستعلانهم على غيرهم.

رابعاً: ما ورد من تحريم التشبه بالأعداء في اللباس وأوقات عبادتهم، واتخاذ شعارهم، إلى غير ذلك مما هو منهي عنه، حتى قال اليهود: "مَا يُرِيدُ هَذَا

(١) سورة البقرة، الآية: (١٤٨).

(٢) تفسير الرازي، ح ٤٤، ص ١١٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب اللباس، باب في لبس الشُّهْرَةَ، ٦ / ١٤٤، رقم: (٤٠٣١)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمّد كامل قره، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، وقال الشيخ الألباني في الإرواء: (صحيح)، ٥ / ١٠٩، رقم: (١٢٦٩)، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الثانية: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ"^(١)، مما يدل على حرصه ﷺ على الاحتفاظ بالهوية الوطنية.

وتحتوي الهوية الوطنية على: ١- الإسلام: فهو الهوية الأساسية في أي مجتمع مسلم، ^{ثُمَّ} ^{أَتَى} ^{بِهِ} ^{بِزَيْمٍ}^(٢)، فهو الركيزة الأساسية التي تبنى عليها الأمم، وهو الذي يحكم جميع جوانب الحياة فيها، ولذلك فإن الله قد ^{رَضِيَ} ^{لَنَا} ^{الْإِسْلَامَ} ^{دِينًا}، وَنَصَبَ لَنَا الدَّلَالََةَ عَلَى صِحَّتِهِ بُرْهَانًا مُبِينًا، وَأَوْضَحَ السَّبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ حَقًّا يَقِينًا، وَوَعَدَ مَنْ قَامَ بِأَحْكَامِهِ وَحَفِظَ حُدُودَهُ أَجْرًا جَسِيمًا، وَذَخِرَ لِمَنْ وَاقَاهُ بِهِ ثَوَابًا جَزِيلًا وَفَوْزًا عَظِيمًا، وَفَرَضَ عَلَيْنَا الْإِنْفِيَادَ لَهُ وَأَحْكَامِهِ، وَالتَّمَسُّكَ بِدَعَائِمِهِ وَأَرْكَانِهِ، وَالْإِعْتَصَامَ بِعُرَاهِ وَأَسْبَابِهِ، فَهُوَ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ وَلِأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَمَلَائِكَةِ قُدْسِهِ"^(٣)، (وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا)^(٤)؛ ولذلك فقد دعانا إلى أن نقدم أنفسنا بحقيقتها التي نعتز بها، فنتسمى بالاسم الذي سمانا الله به، (هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ)^(٥)، وهذه دعوة إلهية إلى التمسك بالاسم الجامع الذي سمانا الله به، ونبذ وطرح كل اسم أو صفة تخالف ذلك.

٢- الأرض: وهي العنصر الطبيعي الذي يستقر عليه الشعب بصفة مستمرة، فالجماعة تحتاج إلى إقليم لتنظيم حياتها، ولتباشر عليه الدولة سلطاتها، فالشعوب التي تعيش حياة التنقل ليس لها هوية وطنية، ولا تمتلك الشعور الوطني الموجود عند الشعوب المستقرة في حيز جغرافي، وقد نصّ دستور المدينة على المكان المحدد الذي تسري فيه أحكام الصحيفة، وله حدود تجعل الخروج عنها؛ خروجًا عن أرض الدولة، فجاء فيه: "وَأَنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا

(١) مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، بابُ جَوَازِ غَسْلِ الْخَائِضِ رَأْسَ رَوْجِهَا، ٢٤٦/١، رقم: (٣٠٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٩).

(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، ص ٢١٧، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ -

١٩٩٦ م

(٤) سورة المائدة، من الآية: (٣).

(٥) سورة الحج من الآية: (٧٨).

بِإِذْنِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ... وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍ وَلَا أَثِمٌ، .. وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ^(١)، وكلمة جوفها في الدستور يدل على الحدود، أي داخلها، كذلك نص الدستور على سيادة المدينة واستقلالها، والذي يفهم من كلمة حرام، فأهل المدينة يتمتعون بالسيادة الداخلية والخارجية، فلهم كياناتهم المستقل، البعيد عن أي تدخل خارجي، وعدم خضوعها بشكل مباشر لإدارة أجنبية.

٣- اللغة العربية: فهي وعاء الفكر، ومعبرة عن الوعي لدى الأمة، ومرتبطة بهوية أفرادها، فهي جزء لا يتجزأ من شخصية الإنسان، ومما يؤكد على تعزيز الهوية الوطنية بالتمسك باللغة العربية والاهتمام بها: ما ورد عن عمر بن الخطاب وهو يطوف بالكعبة، إِذْ سَمِعَ رَجُلَيْنِ خَلْفَهُ يَتَكَلَّمَانِ بِالْفَارَسِيَّةِ، فَأَلْتَفَتَ إِلَيْهِمَا وَقَالَ لَهُمَا: «ابْتَغِيَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ سَبِيلًا»^(٢)، وهذا قمة التوجيه في الاعتناء بالهوية الوطنية، والاعتزاز بها، فاللغة العربية هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي لغة الدين والعقيدة، وهي الأصل في العبادات.

٤- الثقافة واللغة: وهي سمة أساسية من السمات العامة التي تميز تاريخ أي أمة، ووسيلة مهمة من وسائل تأقلم الإنسان مع بيئته، وهي المعبرة عن الوعي لدى الأمة، ومحاولة طمسها أو تشويهها؛ إنما هو إخفاء لهويتها، وعليه فإن الثقافة بما تشتمل عليه من اللهجة والنزى والعادات والتقاليد؛ تسهم مساهمة فعالة في المحافظة على هوية المسلم، وشخصيته بين الأمم.

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ١٠٧/٢، وما بعدها.

(٢) مصنف عبد الرزاق، ٤٩٦/٥، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند، ١٤٠٣هـ.

المبحث الثاني

استخدام الوسائل الدعوية المعاصرة في تشكيل الهوية الوطنية لدى المدعويين الإسلام لا يقف حجر عثرة أمام تقدم الوسائل الدعوية ما دام الهدف صحيحًا، فليس أمام الدعوة إلا تطوير وسائلها بما يتماشى مع الزمان والمكان، وصولًا إلى قلب المدعويين بالجمال الأصيل، في ثوبه القشيب، فعلى الدعاة أن يركبوا الصعاب، ويستغلوا أحدث ما وصل إليه العصر في تكنولوجيا الاتصال بالمدعويين، من الإنترنت والأقمار الصناعية، ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة؛ لترسيخ الهوية الوطنية في أذهان المدعويين، وهذا يتطلب منهم أن تتلاءم وسائلهم الدعوية مع مستجدات العصر ومنتجاته، "فهذا هو النبي ﷺ ينشده كعب بن زهير: لاميته الشهيرة التي مطلعها:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول
حتى يبلغ قوله:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الهند مسلول
فينكر عليه النبي ﷺ قوله: (من سيوف الهند)، فيجعلها (من سيوف الله)، إن النبي ﷺ حريص على ألا يتميع الداعية، ولا يذوب في غيره، لأن دعوته إنما هي عنوان حضارة هذا الدين ومجده، فلا بد أن يحمل هويته الإسلامية، ويعبر عنها بكل عزِّ وافتخار^(١)، فالداعية لا بد أن يتميز بهويته الإسلامية، ولا بد أن يظهر ذلك جليًا في استخدامه للوسائل الدعوية، سواء كانت تقليدية كالخطابة والوعظ، أو حديثة كالإنترنت وغيره.

١ - الوسائل التقليدية: كالخطب والدروس والمحاضرات والوعظ وغيرها، والتي تهدف إلى تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين، وتؤسس لبناء مجتمع متماسك مترابط يعتز بهويته الوطنية، فلا ينسلخ منها إلى غيرها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوسائل، (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ)^(٢)، وذلك لأن المدعويين

(١) منهج الدعوة في واقفنا المعاصر، د/ عبد الحميد الهنداوي، ص ١٣٣، دار الآفاق العربية، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

(٢) سورة النحل، من الآية: (٢٥).

لا يتعدون هذه الأصناف الثلاثة، "فالنَّاسُ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ: إِمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بِالْحَقِّ وَيَتَّبِعَهُ فَهَذَا صَاحِبُ الْحُكْمَةِ؛ وَإِمَّا أَنْ يَعْتَرِفَ بِهِ؛ لَكِنْ لَا يَعْمَلُ بِهِ فَهَذَا يُوعَظُ حَتَّى يَعْمَلَ؛ وَإِمَّا أَنْ لَا يَعْتَرِفَ بِهِ فَهَذَا يُجَادَلُ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّ الْجِدَالَ فِي مَظَنَّةِ الْأَغْضَابِ فَإِذَا كَانَ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ: حَصَلَتْ مَنْفَعَتُهُ بِغَايَةِ الْإِمْكَانِ كَدَفْعِ الصَّائِلِ"، ولا زالت هذه الوسائل التقليدية إلى يومنا هذا؛ هي الأساس في حياة الدعاة، وتمثل جزءاً مهماً في تعزيز الهوية الوطنية، فمن الحكمة؛ تعليم المدعوين ما يعزز هويتهم الوطنية بالطريقة التي تناسبهم.

٢- الوسائل التكنولوجية الحديثة: كالشبكة العنكبوتية، حيث وجد دعاة الفكر المتطرف في الشبكة العنكبوتية مجالاً خصباً لنشر أفكارهم، ودعوة الآخرين إلى اعتناقها، بل واستغلوا كل وسيلة حديثة، وجعلوا منها أبواباً للضلال المبين، والتحريض ضد الدول، ومن هنا فإن "المواقع الإسلامية على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)؛ لها دور مهم في تبليغ الدعوة للناس، ولا سيما شريحة الشباب منهم، وكذا مواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك، والتويتر، واليوتيوب، والصحافة الإلكترونية المعنية بنشر الفكر الإسلامي"^(١)، ويمكن للداعية استغلال هذه الوسيلة في مجال الدعوة، عن طريق تكوين مواقع إسلامية تعرض القضايا الدينية، وتبرز هدي الإسلام في تعزيز الهوية الوطنية، بالقدر الذي يجعل المسلمين وطنيين حقيقيين، ويحصنهم في الوقت نفسه من حملات التشويه والتشويش المستمرة من قبل أعداء الوطن و"تكيف الداعية مع مثل هذه الوسائل تجعل منه شخصية قادرة على مجابهة تحديات العصر المتطورة، والمتجددة، والوقوف أمامها بكل ثقة، وعزم، وبيان الأسلوب الأمثل، والأحكم في التعامل معها، وتوظيفها في خدمة الدعوة إلى الله، آخذاً بكل المجالات الهادية، والأمور الواقية، التي تعينه على النهوض بالمجتمع وأفراده إلى المدنية الفاضلة، والقيم السامية، وشحنهم مهم إلى الاستخدام

(١) تطوير وسائل الدعوة في ضوء المواكبة العصرية للفكر الإسلامي، د/ أحمد سليمان عبيد، مجلة الأنبار للعلوم الإسلامية، المجلد الرابع، العدد الخامس عشر ٢٠١٣هـ، ص ٥٥٧.

الأمثل لمثل هذه الوسيلة"^(١)، كذلك يستطيع الداعية أن يلقي محاضراته من خلال هذه الوسيلة ليسمعها ملايين الناس ويتكلفة قليلة على مرأى ومسمع من الناس جميعاً، وذلك مقابل تلك المواقع الكثيرة المسمومة، والتي تعمل بسريّة "فمثل هذه الدعوات السرية لا تكون دعوة شريفة في غالب الأمر، بل لم يعرف تاريخ العالم - في الغالب - فن تلك الدعوات السرية، إلا ما يخفي وراءه الشر والغدر، ولا تكون الدعوات ذات سرية مطلقة إلا إذا كانت دعوات هشة لا تملك من الحجج والبراهين ما يمثل قناعة لدى عقلاء البشر، ومنصفينهم ممن يبتغون الحق وينشدونه؛ لذا فهي تخفي عقائدها وأفكارها وتجعلها قاصرة على طائفة معينة من السذج، أو ذوي الأطماع والحاجات الذين وجدوا في هذه الدعوة السرية سبيلاً إلى تحقيق مطامعهم"^(٢)، فالإسلام يعني بتعزيز الهوية الوطنية، وإذا كان هذا الأمر مطلوباً؛ فوسيلته مطلوبة متى توفرت وتيسرت أيّاً كان مصدرها وصانعها، مع اجتناب الوسائل المحرمة، وهذا ما يقرره الإسلام، ومن ثمّ أوجب التشدد على من يريد تلوين المجتمع وتقويت هذه الأغراض المهمة الشريفة عليه، والتحزبات السرية ودعواتها مهما كانت صالحة؛ فإن سلبياتها تزيد على إيجابياتها، وتضعف الوطن بدلاً من دعمه وتقويته.

إن دعاة التوحيد؛ هم أولى الناس بتوظيف كل الوسائل الحديثة غير المحرمة في خدمة الدين والوطن، فأهل الباطل استغلوا بشكل ظاهر في نشر معتقداتهم، بل وتمكنوا من وجود أتباع لهم باستخدامها، وفن الدعوة إلى الله تعالى يحتاج الداعية الذكي الذي يقدر على التفاعل مع متغيرات العصر ومستجداته، وتوظيفها في تبليغ دعوته في كل مكان.

(١) مجالات الدعوة في القرآن، عاطف محمد الفيومي، ص ٣٦ مكتبة أولاد الشيخ، الجزيرة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.

(٢) منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، د/ عبد الحميد الهنداوي، ص ٣٣٥.

المبحث الثالث

دور المؤسسات الدعوية في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين.

لا شك أن المجتمعات في عصرنا الحاضر؛ ازدادت حاجتها إلى دور المؤسسات الدعوية، خاصة في ظل الهجمات الشرسة، والتيارات الهدامة التي تعمل على تهميش الهوية الوطنية، والبعد عن ثوابتها الأصيلة، والمملكة العربية السعودية تعيش نهضة دعوية شاملة، حيث تتعدد المؤسسات الدينية بها والتي تسهم في تعزيز الهوية الوطنية، كوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، فمن رسالتها: "دعوة الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتوعية المسلمين بأمور دينهم، ونشر القيم الإسلامية وترسيخها"^(١)، ومنها أيضًا: الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي تتمثل رؤيتها في: "أن يستمر مجتمعنا محافظًا على وسطية الإسلام، وأن تظهر فيه شعائر الدين، ولا يجاهر فيه بالمعاصي والمخالفات"^(٢)، حيث تتابع الجهات المنحرفة للحد من انحرافها عن طريق التوعية والمحاضرات والندوات وغيرها، ومنها المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات التي تشرف عليها وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، حيث حرصت هذه المؤسسات على تنظيم الدروس في مساجد المملكة، لتوعية الناس وتوجيههم، لتعزيز الهوية الوطنية، وتعمل كذلك على طباعة العديد من الكتب والمطويات التي تتطرق لموضوعات تعزيز الهوية الوطنية، فالمؤسسات الدعوية الرسمية لها دور مهم في غرس المفاهيم الصحيحة في عقول المدعويين بما تشتمل عليه من حصانة فكرية، ووعي آمن، فلا يقتصر دور المؤسسات الدعوية على ممارسة الشعائر والطقوس الدينية فحسب، بل تنهض بدور بارز في النهوض بالوطن، وصناعة حضارته التي تختلف من حقبة لأخرى وفق الآمال والطموحات التي تنشدها الدولة وتسعى إليها في حاضرها ومستقبلها، أما المؤسسات والتنظيمات السرية؛ فخطرها كبير، فقد بنى المنافقون مسجدًا ضرارًا، للكيد

(١) موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

(٢) الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص ٤، ٣١٤ هـ.

والإضرار بالإسلام والمسلمين؛ ولذلك فقد أمر الله ﷻ النبي ﷺ أن يهدمه ولا يصلّى فيه، وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضُرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۗ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۗ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ (١٠٨) ^(١)، ومن هنا كان لا بدّ من وجود المؤسسات الدعوية الرسمية، التي تُنمي في نفوس المدعويين حب الوطن، والتضحية في سبيله، والحرص على سلامته، فالدين يحتل مكانة خاصة في نفوسهم باعتباره العقيدة الراسخة التي تركز عليها تعزيز الهوية الوطنية، والمؤسسات الدعوية في المملكة العربية السعودية متعددة، وقد مارست ولا تزال تمارس دورًا عظيمًا في تعزيز الهوية الوطنية، والحفاظ عليها، ومهما كثرت التحديات وتنوعت؛ فإن مؤسساتها الدعوية ثابتة في أداء دورها المنوط بها.

(١) سورة التوبة، الآيات: (١٠٧، ١٠٨).

الفصل الثاني

منهج الدعاة في تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعوين

إن الحفاظ على الهوية لا يعنى الانغلاق على الذات بعيداً عن الثقافات الأخرى، ولكن يعنى الحفاظ على تراثنا بعد انتقائه، وتعلم الثقافات الأخرى والاحتفاء بالثقافة التي تميز الأمة الإسلامية، وهناك العديد من المناهج التي يستخدمها الدعاة لتشكيل الهوية الوطنية لدى المدعوين، وهو ما سيوضحه هذا الفصل إن شاء الله.

المبحث الأول

مراعاة الثوابت الدينية والقيم الخلقية مع استيعاب المستجدات يمتاز التشريع الإسلامي بالتوازن بين الثبات والمرونة، حيث أودع الله ﷻ فيه عنصر الثبات والخلود مع عنصر المرونة والتطور، ومن هنا وجب على الدعاة أن يتحلوا بهذه الروح، فيستوعبوا المستجدات بعقل ناضج، وفهم صحيح للواقع، مع الحفاظ على الهوية من الذوبان فيما سواها، وفي إطار ما يحكمها من أصول إسلامية، حتى يتحقق التواصل المعرفي بين الأصالة والمعاصرة، فالتمسك بالأصول والأخلاق الإسلامية يمثل حائط صد أمام الغزو الجديد، الذي لا يرضى بديلاً عن محو الهوية الإسلامية، وعلى ذلك فلا مناص من التمسك بالهوية الإسلامية مع مراعاة استيعاب المستجدات، فهي سفينة الإنقاذ وسط بحر يموج بالعواصف والأعاصير ويوشك أن تغرق الأمة في أعماقه السحيقة.

ومن أمثلة الثوابت الدينية التي لا تقبل التغيير:

١ - العقيدة: حيث توجد أصول عقديّة لا تتغير بتغير الزمان والمكان، كأصول الإيمان، (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء والقدر) "إذ الإعتقاد في أصول الدين للأُمور الخَبَرِيَّة الثَّابِتة الَّتِي لَا تَتَجَدَّد أَحْكَامُهَا، مِثْلُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ نَفِيًّا وَاتِّبَاتًا؛ لَيْسَتْ مِمَّا يَحْدُثُ سَبَبُ الْعِلْمِ بِهِ أَوْ سَبَبُ وُجُوبِهِ. بَلْ الْعِلْمُ بِهَا وَوُجُوبُ ذَلِكَ مَا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْأَوْلُونَ

وَالْآخِرُونَ^(١)، والحفاظ على هذه الثوابت؛ حفظ للأمة وهويتها من التأثر بهوية الغير المخالف.

٢- الشريعة: كأصول العبادات من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وأسس أحكام المعاملات، وأحكام الميراث والحدود، وغيرها، وعلى العموم أقالحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة هو عليها، لا بحسب الأزمنة ولا الأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدره بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه. والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زماناً ومكاناً وحالاً، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها؛ فإن الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة^(٢)، فالثابت يكون في الأصول التي من شأنها أن تحافظ على الإسلام من التحريف والتأثر بالأهواء والأعراف الأخرى.

٣- الأخلاق: وتحتوي على مبادئ لا تتغير ولا تتبدل، كالصدق وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود والعقود وغيرها مما هو ثابت في مجال الأخلاق، "فينبغي للمسلمين اليوم، أن تكون لهم شخصيتهم المميزة، وأخلاقهم وعاداتهم الطيبة الكريمة، ولغتهم العربية الشريفة، وأن يستمدوا ذلك كله من شريعتهم الإسلامية، وهدى نبيهم ﷺ، وسلفهم الصالح. وما كان من سمات الكفار اليوم، من عادات، وتقاليد، وأزياء، وأنماط سلوك، فعلى المسلم أن يتجنبه قدر الإمكان، وكذلك ما جرده الناس اليوم، وأحدثوه، من أخلاق الجاهلية المذمومة، وسماتها، وأعرافها وتقاليدها، وآثارها، ونحو ذلك"^(٣).

ومن أمثلة المتغيرات: ١- عمل المرأة، لقد ساهمت المرأة في النهوض بأعباء المجتمع وخدمته على أكمل وجه، "وليس معنى الأمر باستقرار المرأة في بيتها، وترغيبها فيه؛ أنه يحرم عليها أن تفارقه، وأن الله جعله لها كالسجن تحبس فيه لا تفارقه إلا عند الموت، أو عندما تفصم الحياة الزوجية، لا، إن

(٢) إغاثة اللفهان من مصادب الشيطان، ابن قيم الجوزية، ج ١، ص ٣٣٠ وما بعدها، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المقصود بالترغيب في الاستقرار؛ هو بيان أفضليته، وأنه الأصل، وأحسن ما قيل في الحديث عن وضع المرأة بين البيت والمجتمع هو هذه الجملة: لا ينبغي خروجها إلا عند حاجتها إلى العمل، أو حاجة العمل إليها، والحاجة أعم من أن تكون ضرورة أو غيرها^(١)، فقد تضطر المرأة إلى الخروج من البيت للعمل؛ لعدم وجود عائل لها، أو عند وجوده ولكنه غير مستطیع، وقد تكون هي العائل، وهناك بعض الأعمال من الأفضل بل من الواجب أن يقوم بها النساء، كتطبيب النساء في المجالات المختلفة، خاصة في التخصصات التي قد تظهر فيها عورة المرأة كالولادة وغيرها، ولكن عند خروجها للعمل؛ عليها الالتزام بالضوابط الشرعية من الالتزام بالزيّ الشرعي، وعدم الاختلاط بالرجال والخلوة بهم، وغير ذلك من هذه الضوابط.

٢- التعايش مع غير المسلمين، فغير المسلمين لهم حق العيش في بلد أكثر أفرادهم مسلمين، فالناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٢)، وتذكير الناس بأصل خلقتهم ووحدتها؛ تنبيه إلى ضرورة التعاون فيما بينهم، فالتعارف لا يحصل من جانب واحد فقط، وأن التنوع لا ينفي وجود الأخوة والتعاون، فقد كان ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب، ويغشى مجالسهم، ويواسيهم في مصائبهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعة يحكمها قانون واحد، وتشغل مكاناً مشتركاً، فقد كان يقترض منهم نقوداً، ويرهنهم متاعاً، ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه على إقراضه، فإن بعضهم كان ثرياً، وكلهم على أن يقرض رسول الله ﷺ بل كان يفعل ذلك تعليماً للأمة، وتثبيتاً عملياً لما يدعو إليه من سلام ووفاء، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيه من

(١) الحجاب وعمل المرأة، عطية صقر، ص ٥٧، مطابع الأهرام التجارية، ١٤٠٣هـ. الأمر باستقرار المرأة في بيتها ورد في قوله تعالى: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ....) الآية: ٣٣ من سورة الأحزاب.
(٢) سورة الحجرات، من الآية: (١٣).

غير دينهم^(١)، وأن اختلاف الدين ليس بمسوغ لمعاداتهم وعدم التعامل معهم، فقد أباح الإسلام الأكل من طعامهم غير المحرم، والزواج من نسائهم، مما يبيح التعامل والتعايش معهم كما فعل النبي ﷺ في المدينة.

إن الدعوة إلى استيعاب المستجندات لا يقصد بها طمس الهوية للشعوب، وإلغاء خصوصيتها الحضارية، أو قطع الصلة بينها وبين تاريخها وتراثها الحضاري، ولكن الإسهام بالإضافة والتجديد إلى الحضارة المعاصرة في نطاق عالمية الإسلام، "ومن هنا

لا بدّ من التمييز بين أمرين مهمين، ولا يجوز الخلط بينهما، حتى نعرف أين نضع أقدامنا في هذا العالم، وحتى نعرف ماذا نأخذ عن غيرنا وماذا ندع، نعلم، يجب التمييز بين الأمور الثوابت في الدين والحرية الإسلامية من العقيدة والعبادة والأخلاق والقيم والأحكام الشرعية المحكمة القطعية، وهذه من خصائص أمتنا، وهي العامل الذي يحفظ لنا هويتنا وشخصيتنا الإسلامية أمام التحديات في خضم هذا العالم، وهذه الثوابت لحياتنا كجذور الشجرة تمدّها بالحياة، فإذا قطعت جذورها فقدت عناصر الحياة، وأما الأمر الثاني: فهو العلم، والعلم عالمي لا تختص به أمه من الأمم، ولا شعب من الشعوب، وليس وليد عقيدة، وإنما هو وليد بحوث وتجارب إنسانية، فهذا نأخذه من أي مكان في العالم، ونعمل من أجل الحصول عليه^(٢)، فالجهل بالمعارف الحديثة، والاعتماد على استهلاك ما ينتجه الغير لتلبية الحاجات المعيشية؛ ليست من الإسلام في شيء.

لقد أدى تخوف كثير من الدعاة من التعامل مع المستجندات إلى تكريس الجهل، والتخلف عن الركب الإنساني، وأقعد كثيرًا من المدعويين عن اكتساب مقومات الدفاع عن النفس اعتمادًا على جهودهم الذاتية، وعزل أنفسهم عن المحيط الخارجي، فلم يفقهوا "أن واقع الحياة اليومية، هو تاريخ الإنسانية

(١) سماحة الإسلام، د/ أحمد الحوفي، ص ١٨٤، مطابع الأهرام التجارية، ٢٠١٧م.

(٢) بحث بعنوان: الحضارة الإسلامية حضارة متطورة غير عنصرية، عز الدين الخطيب التميمي، وهو من أبحاث المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر، وهو بعنوان: الإسلام والقرن الحادي عشر، ص ١١١

الحاضر، وهو مستودع أخطائها وصوابها، فإذا أخذ الداعية مادة حديثه من صميم ما يجري في هذه الحياة، وتحدث عن صوابه وخطئه، وصور كلاً في صورته الطبيعية الدارجة، وعالجه بروحه الرباني، ووزنه بميزانه الإلهي؛ فقد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة^(١)، فينبغي على الداعية أن يكون على وعي بالمستجدات على المستوى المحلي والدولي، حتى لا يكون بينه وبين المدعويين مسافة بعيدة عن مجريات الأمور التي تدور حوله، وإلا لن ينجح في الوصول إلى قلوب مدعويه، ولذلك فقد طلب النبي ﷺ من زيد بن ثابت أن يتعلم لغة أجنبية في غضون أيام، ولعمري هذا الدرس النبوي من الدروس المهمة في حياتنا المعاصرة، "والمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين، وسمو ولي عهده (حفظهما الله)، استطاعت أن ترسي دعائم الرقي والتقدم لشعبها، وتحفظ الاستقرار والأمن على أرضها، وأسهمت بجهدا كبيرا وثقلها الإسلامي العالمي في تقديم العون إلى الشعوب التي تحتاج إليه سياسياً ومادياً، وهو جانب مهم من رسالة المملكة في الحفاظ على السلام العالمي والتعاون الدولي، وذلك بأقوى ما تملكه من أسباب الرقي والتقدم الإنساني عقيدتها وشريعته التي كفلت لشعبها في كل الظروف والأوقات الأمن والسلام، أخذة بما وجد من وسائل العصر، منفتحة على العالم ومتعاونة معه، كل ذلك في ظل التزامها بدينها، وتطبيقها لشريعة ربها، كما نزلت في كتاب الله، وكما طبقها رسول الله ﷺ^(٢)، فأخذت بدعوته للخروج من التقليد إلى الجمود حتى تتوازن ديمومة الحياة في ظل الثوابت الدينية، فعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةٍ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(٣)، ولكن ليس بتغيير جلدنا، والذوبان كلية في

(١) الخطابة في موكب الدعوة، د/ محمود محمد عمارة، ص ٢٠٥١، مطبعة نهضة مصر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

(٢) كلمة معالي أ د/ عبد الله عبد المحسن التركي عن الوفود المشاركة في المؤتمر الحادي عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر، ص ٣٧.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يُذَكَّرُ فِي قَرْنِ الْمِئَةِ، ٣٤٩/٦، رقم: (٤٢٩١)، وقال الأرنؤاوط: (إسناده صحيح)، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

حضارة العالم المتقدم، كما أنه ليس بالانكفاء على الذات، ورفض الانفتاح
المضبوط بالشرع على العالم الخارجي، وإنما بالعمل على تجديد حضارتنا
بالأساليب التي تتفق مع أصولنا الحضارية، والتي تحافظ على هويتنا
الإسلامية.

المبحث الثاني

الاعتصام بمنهج الوسطية والاعتدال

الوسطية والاعتدال منهج شرعي جعله الله ﷻ من أبرز خصائص هذه الأمة الإسلامية، وبها استحكمت أمة الإسلام أن تكون شاهدة على جميع الأمم قبلها، في حين أنه لم تشهد عليها أمة أخرى، (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) ^(١)، فالوسطية من خصائص هذه الأمة، وسبب خيريتها، ولا تزال بخير ما دامت تحافظ على هذه الخاصية، ووسطيتها هذه مستمدة من وسطية منهجها، الذي جعله الله ﷻ وسطاً بين الإفراط والتفريط، "وما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه، والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد" ^(٢)، ولتعزير الهوية الوطنية المنشودة بالخطاب الديني؛ لا بد أن يكون ذلك من خلال قيام الدعاة بدورهم الإيجابي في هذا الاتجاه عن طريق الخطاب الوسطي المعتدل، الذي يجعل من تعزيز عاطفة حب الهوية الوطنية، والانتماء إليها؛ هدفاً له، وهذا يعني تخليص الدعاة دعوتهم من كل الأطر الضيقة والتحرّيبية التي لا تمت بصلة إلى هويتنا الدينية والثقافية، مما يجعل واقعية الوسطية الإسلامية من الوسائل الضرورية لحماية الهوية الوطنية، ومواجهة تحديات العصر في الوقت نفسه، ومن هنا كانت تعاليم الإسلام وتشريعاته كلها في نطاق الوسطية والاعتدال، ولذلك وصف المسلمون بأنهم أمة وسط "لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ

(١) سورة البقرة، من الآية: (١٤٣).

(٢) مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ج ٢، ص ٦٤٤، وما بعدها، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م.

كان أحبَّ الأمور إلى الله أوسطها^(١)، فالوسطية حفظ للدين من تيارات هي في الحقيقة هادمة له، هذه التيارات إما أن تكون متشددة غالية، تخرج الإسلام عن وسطيته، وتذهب عنه رونقه وصفاءه، وتجعله في دائرة الشطط والتشدد، وإما أن تكون متساهلة أو مفرطة في التعامل مع أحكام الإسلام ونصوصه، فيقعوا ويوقعوا غيرهم في الضلال، وواجب على الدعاة حينما يقدموا دعوتهم، أن يقدموها بهذه السمة والصفة الجليلة العظيمة العالية (التوسط والاعتدال)، حتى ينشأ المدعو نشأة سوية، فينبذ الغلو والتطرف، كما ينبذ التقصير والتفريط.

لقد حذر الإسلام من محاكاة الأمم السابقة في غلوها، (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)^(٢)، وهذا النهي؛ تحذير للأمة الإسلامية من الغلو في الدين، حيث يؤدي إلى الوقوع في ضلال يتلوه ضلال، ولذلك فقد تكرر لفظ الضلال ثلاث مرات في الآية الكريمة، (ضلوا، وأضلوا، وضلوا)، لخطورته في البعد عن منهج الوسطية والاعتدال، وتمييع للهوية الإسلامية، وهدم لثوابتها، وتشكيك في خصائصها، وطعن في ثقافتها، كما أن الغلو سبب من أسباب هلاك الأمم السابقة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم، الغلو في الدين»^(٣)، وهذا نهى صريح عن الغلو والخروج عن منهج الوسطية الذي جاء به الإسلام، فهو سبب من أسباب الهلاك، فليحذر المسلمون منه، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن

(١) تفسير الطبري، ج ٣، ص ١٤٢، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٢) سورة المائدة، الآية: (٧٧).

(٣) رواه الإمام النسائي في السنن الصغرى، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ج ٥، ص ٢٦٨، حديث رقم ٣٥٧، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، ورواه الإمام ابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ج ٤، ص ٢٢٨، حديث رقم ٣٠٢٩، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمد كامل قره بللي، عبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.

النبي ﷺ قال «هلك المتنتعون، قالها ثلاثاً»^(١)، "أي: المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"^(٢)، ومن هنا وجب على الدعاة إدراك أهمية دعوة الوسطية، وضرورتها التي يدعو الإسلام إلى تحقيقها ونشرها بين المدعويين بالطريقة الصحيحة حتى لا يقع الاختلاف بين أهل الأهواء، والافتراق إلى فرق متناحرة متنازعة، وجماعات متطرفة همها الأوحاد إرغام معارضيهما على اعتناق آرائها بأي وسيلة كانت، بل ويكفرون ويفجرون ويعيثون في الأرض فساداً.

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، ج ٤، ص ٢٠٥٥،

حديث رقم ٢٦٧.

(٢) شرح النووي على مسلم، ج ١٦، ص ٢٢٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة:

الثانية، ١٣٩٢هـ.

المبحث الثالث

الالتزام بالقوانين الوطنية حفاظاً على الأمن العام

تعد القوانين واللوائح من أبرز وسائل الضبط الإداري، فالنفس الإنسانية إذا تركت لشهواتها؛ فإنها تميل إلى الاسترسال في إشباع شهواتها، ولا ترضى بحد معين تقف عنده، خاصة إذا أمنت المحاسبة، وسن القوانين واللوائح؛ يعد تدبيراً استثنائياً استدعاه الواقع المتغير بتغيير الزمان والمكان، مع الأخذ في الاعتبار أن الوازع الديني هو الأصل، ولكن إذا ضعف الوازع الديني بحيث يصير الدافع إلى مخالفة الشرع قوياً على النفوس من الوازع الديني، فهنا يلجأ إلى الوازع السلطاني، "فإن الله العليم بأحوال عباده، الخبير بما تقتضيه طبائعهم ناطق أمر تقدير العقوبات بأولي الأمر، ثم كلفهم السهر على مصالح رعاياهم، والاستمساك بكل الوسائل المفضية إلى تربيتهم تربية سالحة، والقيام بتأديب المجرمين، بالعقوبات المناسبة؛ كي يعيش الناس في أمن، ودعة، وراحة، واطمئنان"^(١)، وليس هناك قوة على وجه الأرض تكافئ قوة الدين في الحيلولة بين الناس وارتكاب المخالفات الشرعية، واستقرار نظام المجتمع، وليست القوانين وحدها كافية لذلك، فالذي يؤدي واجبه رهبة من العقوبة أو السوط؛ لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى إفلاته منها، وهذا لا يعني الضرب بالقوانين الوضعية التي تحفظ على الناس استقرارهم وأمنهم عرض الحائط، وإذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا -من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقرة- أن المقصد العام من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمين عليه وهو نوع الإنسان. ويشمل صلاحه وصلاح عقله، وصلاح عمله، وصلاح ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه"^(٢)، فسن القوانين لحفظ الأمة من الهرج والمرج؛ من مقاصد الشريعة، ولا يناقض الإيمان كما يظن البعض،

(١) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، ج ٥، ص ٣٥٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ج ٣، ص ١٩٤، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

"فحفظ الأمن من أعمق معاني الوقاية، وجزء لا يتجزأ من الإيمان والتوحيد، فالله ﷻ قد قرن الإيمان وتحقيقه، بزوال الشرك، وعبر عنه بالظلم في قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)^(١)، ليكون الإيمان والتوحيد شرطاً أساسياً لحصول الأمن والطمأنينة، مما يدل على الأهمية القصوى للأمن، وأنه لا يمكن للمجتمعات أن تحيا وتعيش وتتطور بدونه، فإنزال العقوبة الشرعية بالمخطئ والمستهتر بالأحكام الشرعية، تبعث روح الطمأنينة والأمن في النفوس، وفي ذلك حماية حاسمة وصادقة لكرامة الإنسان"^(٢)، كذلك القوانين الوضعية التي لم تخالف الشرع؛ تجعل النفوس الضعيفة التي لم يردعها زاجر الإيمان والتقوى أن تفكر فيما تقدم عليه، وأن هناك زاجراً آخر هو رقابة السلطة، والتي تضرب بيد من حديد على كل من تسول له نفسه إتيان المحرمات، حتى تكون البلاد موطئاً للأمن والأمان، لا يعكر صفوة الفاطنين فيها شيء، ويظل كيانه مرهوب الجانب، عصياً على الصدوع، قادرة على مجابهة التحديات والتصدي لها دون خلل في بنائها، أو ثغرات تتسع مع الزمن تقوض أركانها، وقد ورد: "إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ»، أَي لِيَمْنَعُ بِالسُّلْطَانِ عَنِ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ مَا لَا يَمْتَنِعُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَكِيدِ وَالتَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ"^(٣)، ولذلك فقد قامت الدول بسن القوانين للحفاظ على النظام العام، وذلك بوضع بعض القيود على حريات الأفراد؛ وقاية للمجتمع من الجرائم قبل وقوعها، والمحافظة على سلامة الأفراد، كمراقبة التجار والصناع وأرباب المهن لالتزام بالضوابط والقوانين المرعية فيها، كمصادرة المواد الضارة والفاسدة، وإغلاق المحلات المخالفة، ومنع التجار من البيع في الأماكن غير

(١) سورة الأنعام، الآية: (٨٢).

(٢) التربية الوقائية في دعوة أولي العزم من الرسل وأثرها في مواجهة الانحراف، إبراهيم محمد السيد القط، ص ٢٥، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير) في الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالمنوفية، جامعة الأزهر، ١٤٣٨، ٢٠١٧م.

(٣) تفسير ابن كثير، ج ٥، ص ١٠٢، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ.

المخصصة، وإزالة البضائع من على الأرصفة، فمَثَلُ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ الْإِدَارِيَّةِ الَّتِي تَفْعَلُ لِاتِّقَانِ الْأُمُورِ مِمَّا لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ لَا بِأَسِّ بِهِ، كَتَنْظِيمِ شُؤُونِ الْمُوظَّفِينَ، وَتَنْظِيمِ إِدَارَةِ الْأَعْمَالِ عَلَى وَجْهِ لَا يُخَالِفُ الشَّرْعَ، فَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَنْظِمَةِ الْوَضْعِيَّةِ لَا بِأَسِّ بِهِ، وَلَا يَخْرُجُ عَنِ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ مِنْ مِرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ^(١)، مِنْ أَيِّ احْتِلَالٍ يَطْرَأُ عَلَيْهَا، وَلِيَلْتَزِمَ النَّاسُ بِسُلُوكِ الْإِنْضِبَاطِ، حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ عَادَةً يَأْلَفُهَا النَّاسُ، وَعَنْصَرًا أَسَاسِيًّا فِي حَيَاتِهِمْ، لَا يَكَادُونَ يَنْفَكُونَ عَنْهَا حَتَّى وَلَوْ وَجَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ سَعَةً وَمَكْنَةً.

فَالِاتِّزَامُ بِالْقَوَانِينِ الْوَطْنِيَّةِ؛ مِنْ أَوْجِبِ الْوَاجِبَاتِ نَحْوِ الْوَطَنِ، وَتَرْبِيَةِ الْمَدْعُوبِينَ عَلَى الْإِتِّزَامِ بِهَا؛ وَاجِبٌ دَعْوِيٌّ، وَهُوَ مَا يَعْزِزُ الْإِنْتِمَاءَ لِلْوَطَنِ، وَيَقْوِي الْوَلَاءَ لَهُ، وَالتَّعَلُّقَ بِهِ.

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ج ٣، ص ٢٦٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م.

الفصل الثالث

دور الدعاة في مواجهة معوقات تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين وسبل
الوقاية منها

الداعية له دور كبير وفعال في توجيه المدعويين الوجهة الصحيحة، فهو يؤدي أدورًا مختلفة في صقل شخصية المدعويين، ومن هنا وجب على الدعاة مواجهة التحديات الخطيرة التي تعوق تعزيز الهوية الوطنية لدى المدعويين، وذلك بالعمل على إبراز النموذج الإسلامي الصحيح، والعمل على تنوير الفكر، وتوضيح الرؤية، وتصحيح المفاهيم، ومحاربة الأفكار المتطرفة، وبيان ما فيها من ضلال وانحراف، وما يترتب عليها من مفسد كثيرة، وهذا ما سيتضح في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

المبحث الأول

التحذير من خطر الجماعات المتطرفة والدعوات الهدامة.

إذا كان الإسلام قد عُني في دعوته ببيان الحق، وإظهاره للناس، حتى يستبين سبيل المؤمنين، فهو أشد عناية ببيان الباطل، وإظهاره للناس، حتى يستبين سبيل المجرمين، فهو أمر ضروري؛ لاستبانة الحق، (وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (١)، فلو لم يظهر الباطل وزيفه للناس ظهورًا بيّنًا واضحًا، فلربما انخدع به بعضهم، وظنوا أنه هو الحق، فيؤدي ذلك إلى اضطراب الأفكار، وحيرة الأذهان، فتتغير الحقائق، ويحدث الخلط، فإن سبيل المجرمين إذا استبانته واتضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل (٢)، ولكن الله - ﷻ - يأبى إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، حيث يقبض الله من يتصدى لهذه الهجمات الخبيثة، للتخلص منها، والعمل على وقاية الوطن من أضرارها. ولما كانت الجماعات المتطرفة خطرًا على البلاد والعباد، إذ تقوم بتلبيس الحق بالباطل، وتغريب المسلمين بالقول الزائف، وما يترتب عليهما من إثارة الفتنة،

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص ٢٥٨، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠ م.

وتشويهه متعدد لتعاليم الإسلام، مما يكون سبباً في إيجاد فئة من المسلمين مخدوعة بأفكارهم؛ "فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين"، ومن هنا وجب على الدعوة أن يردوا على أهل الباطل باطلهم، ويفندوا شبههم بعلم وبصيرة، فكل الدعوات التي تخرج المدعويين من هويتهم الوطنية، والانتماءات الحزبية؛ الدعوة مطالبون ببيان خطر هذه الدعوات، وتلك الانتماءات التي تخالف التعاليم الإسلامية.

لقد أصبحت ظاهرة استغلال الأحكام الدينية للوصول إلى مآرب ذاتية أمراً واضحاً لدى بعض الجماعات التي احترفت الاتجار باسم الإسلام، (كجماعة المسلمين "التكفير والهجرة"، وجماعة الإخوان المسلمين، وتنظيم الدولة الإسلامية داعش، وحزب الله الرافضي، وجماعة الحوثيين، وما يسمى عصائب أهل الحق، وغيرهم)، فتراهم يحقرون الأوطان، ويتحدثون عنها بأسلوب ساخر يهون من شأنها، وينال من مكانتها، حتى يقيموا عزلة بين المواطن ووطنه، فيتحول إلى عداوة مستحكمة لا يهدأ ولا يسكن، وقد قال ابن باز -رحمه الله- محذراً من خطورة اتباع هذه الجماعات المتطرفة: "الجماعة التي يجب اتباعها والسير على منهاجها هم أهل الصراط المستقيم، هم أتباع النبي ﷺ وهم أتباع الكتاب والسنة الذين يدعون إلى كتاب الله وسنة رسوله قولاً وعملاً، أما الجماعات الأخرى فلا تتبع منها أحداً إلا فيما وافقت فيه الحق. سواء كانت جماعة الإخوان المسلمين أو جماعة التبليغ أو أنصار السنة أو من يقولون: إنهم السلفيون أو الجماعة الإسلامية أو من تسمى نفسها بجماعة أهل الحديث وأي فرقة تسمى نفسها بأي شيء"^(١)، وهنا يعظم دور الداعية في توضيح الحق، وتمييزه عن الباطل، بالحكمة والموعظة الحسنة، والأدلة العقلية

(١) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله. ج ٧، ص ١٢٠.

التي تعد بمثابة المِغول الذي يهدم البناء القائم على الخرافات والأساطير المنبثقة من أصحاب الفكر المتطرف، للعودة إلى الحقائق الوضاعة التي يقوم عليها استقرار الأوطان، المنبثق من التعاليم الإسلامية، فكم قاست الأمم والأوطان عبر الزمان من نكبات كان سببها دعاة الشر الذين يريدون فتنة المسلمين عن دينهم، وإحداث القلائل والفوضى في المجتمع، مما يوجب على الدعاة هناك أستار هؤلاء المتطرفين، حتى لا تكون فتنة في الأرض.

المبحث الثاني

تصحيح المفاهيم المغلوطة

مما لا شك فيه أن المفاهيم المغلوطة داء عضال يهدد كيان الأمة، فيها تُراق الدماء، وتُدمر الأوطان، وتُفقد إلى عمليات مدمرة من التفجيرات، والحرق، والعنف الدموي الذي يعاني منه الملايين في كثير من البلاد، وإشاعة الفساد في الأرض باسم الإسلام، والإسلام منه براء، ومما يُدمي القلب أن بعض أعمال العنف والوحشية التي يقصد منها إثارة الفتن في البلاد، وإحداث الوقيعة بين العباد، تنسب إلى بعض الجماعات الإسلامية، ولم تنكر هذه الجماعات ما نُسب إليها، بل وتُعترف بذلك، حيث "تنفذ عملياتها المدمرة مع صيحات التهليل والتكبير ودعوى الجهاد، والاستشهاد في سبيل الله، الأمر الذي استغله الإعلام الغربي أسوأ استغلال في تشويه صورة الإسلام، وتقديمه للعالم بحسبانه ديناً همجياً متعطشاً لسفك الدماء، وقتل الأبرياء، ويحث على العنف والكرهية والأحقاد بين صفوف أبنائه وأتباعه"^(١)، مما أدى إلى الإساءة للإسلام والمسلمين، وهذا يستدعي أن تتضافر جهود الدعاة لمواجهة هذا الداء العضال الذي يضر بالأوطان، ليتحقق التعايش المجتمعي في أبهى صورته، وأجمل أشكاله، ومن هنا تأتي ضرورة "تصحيح صورة الإسلام في أذهان الغربيين بكل الوسائل العلمية والعملية، التي تعرض الإسلام عرضاً سليماً يصحح المفاهيم المغلوطة، ويزيل الشبهات، ويبدد الأوهام، ويقضي على الأباطيل المنتشرة بين الغربيين، سواء في وسائل الإعلام، أو في بحوث المستشرقين، أو في المناهج الدراسية، وهذا كله من شأنه أن يحمي أبناء المسلمين في الغرب من أخطار المبشرين، والأعيب الملاحدة، وفقدان الهوية"^(٢)، فتصحيح المفاهيم المغلوطة،

(١) كلمة الإمام الأكبر أد/ أحمد الطيب شيخ الأزهر في المؤتمر الثالث والعشرين للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والذي عقد تحت عنوان: خطورة الفكر التكفيري والفتوى بدون علم على المصالح الوطنية والعلاقات الدولية، ص ١١، مطابع الأهرام التجارية، ١٤٣٥هـ، ٢٠١٤م.

(٢) الإسلام والغرب، أد/ محمود حمدي زقزوق، ص ١٦٦، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

ووضع الأمور في نصابها؛ ركيزة أساسية لا بدّ منها في تعزيز الهوية الوطنية، فعندما تُفرغ المفاهيم من مضمونها، يتمّ تحويلها إلى آراء حزبية، تبتّ الحقد والانتقام بين أفراد المجتمع، وتصبح معياراً لتصنيفهم، فتلتبس على الكثير من الناس، حتى يُجرّم من خالف هذا الفهم المغلوط، ويوضع ضمن الخارجين عن الإسلام، فتفرز تطرفاً في السلوك، وغلوا في الأحكام، وإثارة العديد من الشكوك حول القيم الكبرى التي يتميز بها الإسلام في نقائه وصفائه.

إن ظهور المفاهيم الخاطئة أدى إلى ظهور بعض التيارات التكفيرية، التي اتخذت من تكفير الناس والمجتمعات منهجاً لها، مثل (جماعة التكفير والهجرة)، التي ظنت أن كل من سواهم لا يمت بصلة إلى الإسلام، وجعلت التكفير عنصراً أساسياً في معتقداتها، ودعت إلى الأمية وتحريم التعليم، وترك الالتحاق بالمعاهد والمدارس والجامعات، لتحقيق الأمة الأمية، فكان عاملاً مؤثراً في فرقة المجتمع، وتفرقه أحزاباً شتى، إن لم يكن فيه استباحة للدماء والأعراض والأموال، حتى زعم البعض أن المسلمين الآن أصبح لا وجود لهم على الأرض، مما يدل على نفي وجود الإسلام والمسلمين، ولو صلى الناس في المساجد، ونطقوا بالشهادة، دون وعي لمعناها، وحتى لو أقاموا شعائر الإسلام، فالدين قد انقطع عن الأرض، ومثل هذه الأقوال البعيدة كل البعد عن الحق والصواب، كانت مستنداً أساسياً، ومرجعاً شرعياً اعتمد عليه التكفيريون؛ لنشر أفكار التطرف والتشدد، ونشر الرعب في البلاد.

إنّ إساءة الظن بالمجتمع كله، ورميه بالجاهلية والارتداد، خطأ فادح، فالله ﷻ قد تكفل باستمرار هذا الدين، وضمن بقاءه، فلا يأتي على الناس زمان ينقطع فيه الدين، بل سيظلّ هناك طائفة مستمرة على الالتزام بدين الله، فعن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا

يَضُرُّهُمْ مَنْ خَدَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١)، والأذان يرتفع كل يوم خمس مرات على المآذن بمكبرات الصوت، وفي الإذاعة والتلفزيون، ومجرد رفع الأذان، دليل على الإيمان بفرضية الصلاة وقبولها، وكذلك الحال مع بقية الفرائض، حيث تمارس فيها العبادات، لكن يجب أن يكون سلوك الإنسان عنوانًا على هذه الفرائض، وألا يكون شعارًا لا ينزل إلى واقع التطبيق في حياته، كذلك ينص دستور البلاد على أن الإسلام هو الدين الرسمي للدولة، وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع، وهذا الاعتراف كافٍ في عدم الحكم على البلاد بالجاهلية وارتدادها عن الإسلام كما يزعم المتطرفون.

لقد أعطى الإسلام الحرية الكاملة لغير المسلمين في ممارسة عقائدهم، وإقامة شعائرهم الدينية، ولكن دون المساس بمصالح المسلمين، ومشاعرهم الدينية، فوفد نصارى نجران، «لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ، فَقَامُوا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعَوْهُمْ، فَصَلُّوا إِلَى الْمَشْرِقِ»^(٢)، وفي ذلك دليل على أن إقرار حرية العقيدة؛ يستلزم إقرار حرية ممارسة الشعائر الدينية، كما ضمن لهم من أجل ذلك؛ سلامة دور العبادة، وأولى بها عناية خاصة؛ فحرّم الاعتداء بكافة أشكاله عليها، قال تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيُنصَرْنَ لِلَّهِ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)^(٣)، فالإسلام دعا إلى التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، فسان لهم حرية العقيدة، وجعل حماية دور العبادة الخاصة بهم، وعدم المساس بها؛ أمرًا مطلوبًا، ومظهرًا رئيسًا لحريتها،

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب: بدون ترجمة، ج ٤، ص ٢٠٧، حديث رقم: (٣٦٤٠)، ورواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الإمامة، باب قوله ﷺ: «لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ»، ج ٣، ص ١٥٢٣، حديث رقم: (١٩٢٠)، واللفظ له.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ١٦٠، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

(٣) سورة الحج، من الآية: (٤٠).

ووثيقة المدينة وهي أول دستور يضع مبادئ المواطنة والتعايش السلمي؛ خير دليل على ذلك، أما ما يظنه البعض من أن الإسلام لا يقر هذا التعايش، مستنداً في ذلك إلى حديث: «أَخْرَجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيرُهُمْ»^(١)، فلا يسلم ظنهم هذا، لأن الحديث له دلالة خاصة، وإن جاء عاماً، إذ المراد بعض الجزيرة لا كلها، يقول النووي: "مُرَادَ النَّبِيِّ ﷺ بِإِخْرَاجِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ بَعْضِهَا وَهُوَ الْحِجَازُ خَاصَّةً لِأَنَّ تَيْمَاءَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحِجَازِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"^(٢)، كما أن الحديث خاص بمن حارب، ونقض العهود والمواثيق، وليس كل اليهود والنصارى، فالنبي ﷺ "امتحن مع بني النضير حين أرادوا الغدر به، وأن يلقوا عليه حجراً، فأمره الله تعالى باجتلائهم وإخراجهم، وترك سائر اليهود. وكان لا يتقدم في شيء إلا بوحي الله وكان يرجو أن يحقق الله رغبته في إبعاده اليهود عن جواره فقال ليهود خيبر: (أقرم ما أقرم الله) منتظر للقضاء فيهم، فلم يوح إليه في ذلك بشيء إلى أن حضرته الوفاة"^(٣)، وهذا يدل على أن الأمر بالإخراج لا يشمل جميع اليهود، وأن الإخراج متوقف على الغدر ونقض العهود، فيكون جزاء على ما اقترفوه من الجرم والغدر، ولا يدل ذلك على عدم تواجدهم البتة كالتجار والمعاهدين والمستأمنين.

إن مهمة الرسول ﷺ (والدعاة مأمورون بهذه المهمة) أن يبين للناس ما أنزل إليه، وأن يصوب ما أخطأ الصحابة في فهمه، فيقدم لهم المعنى الصحيح، (بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ ۗ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)^(٤)، وقد طبّق ذلك عملياً، فعندما أراد ﷺ أن يغيّر مفهوم المفلس في منطق الإسلام؛ لم يُلَقِ الموعظة مباشرة، لكنه تساعل أولاً: أتدرون من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتابُ الجهادِ والسَّيْرِ، باب: هل يُسْتَشْفَعُ إِلَى أَهْلِ الذَّمَّةِ؟،

٦٩/٤، رقم: (٣٠٥٣)، ومسلم في صحيحه، كتابُ الوصِيَّةِ، بابُ تَرْكِ الوصِيَّةِ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ

شَيْءٌ يُوصَى فِيهِ، ٣/ ١٢٥٧، رقم: (١٦٣٧) ..

(٢) شرح النووي على مسلم، ج ١٠، ص ٢١٣.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ج ٥، ص ٣٤٢، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم،

مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) سورة النحل، الآية: (٤٤).

المفلس؟ فلما أجابوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع؛ عندئذ برز المعنى التقليدي للإفلاس، وحانت الفرصة لتغييره تغييرًا لا يبقى له أثر، وذلك ببيان أن المفلس: من يأتي يوم القيامة صائمًا مزكيًا مصليًا، لكنه يحبط كل ذلك بسيئات أعماله^(١)، وهذا درس للدعاة، ليتعلموا كيفية الدعوة، خاصة عند تغيير ما أُلّف عليه المدّعون من العادات والموروثات غير الصحيحة، لتأصلها في نفوسهم، وتمكنها من قلوبهم.

(١) الخطابة في موكب الدعوة، أد/ محمود محمد عمارة، ٢٦٣.

المبحث الثالث

التصدي للثقافة الغربية المضرة بالمدعوين وبيان خطورة التغريب

لقد أعطى الإسلام الحرية الكاملة للرجل والمرأة على حد سواء، دون التفريق بينهما، ولكن ضمن نطاق تعاليم الإسلام ومبادئه، فلا قيود على ذلك ما لم يؤدَّ إلى هدم تعاليم الإسلام، أو إلحاق الأذى بالغير، هذه هي الحرية التي تتيح الاختيار، وتقرر المسؤولية الدينية، (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) ^(١)، كما أنها قوام الحياة ليتفاعل مع أحداث المجتمع وظروفه، ويكون عطاؤه أكبر؛ لازدهار المجتمعات، والمصادرة على هذه الحريات تصيب حركة المجتمع بالتوقف أو التأخر، والإسلام دعا إلى وجوب التمسك بالهوية الوطنية التي تمثل الإسلام واللغة والأرض والعادات والثقافة، بل كان العرب قديماً يعتزّون بهويتهم الوطنية، ففي سوق عكاظ توحدت لغة القوم نحو اللغة العربية، وكانوا يذكرون الأمجاد عن طريق الشعر والخطابة وغيرها، فكان (وما زال) يؤدي دوراً مهماً في تعزيز الهوية الوطنية، "وَكَاثُوا فِي سَوْقِ عَكَازٍ يَتَفَاخِرُونَ وَيَتَنَاشِدُونَ الْأَشْعَارَ الْمَشْعُورَةَ بِفَخْرٍ كُلِّ قَبِيلَةٍ يُقَالُ عَكَظَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ إِذَا فَاخَرَهُ وَغَلِبَهُ بِالْمَفَاخِرَةِ فَسُمِيَ عَكَازًا بِذَلِكَ لِذَلِكَ" ^(٢)، فكان ميداناً تقوم فيه القبائل للتفاخر بمناقبتهم، وهو الآن يمثل ملتقى ومعرضاً للثقافة السعودية.

لقد تغيّر أسلوب المواجهة بين العالم الإسلامي والغرب بعد الحروب الصليبية، فاتجهوا إلى دراسة العقائد والشرائع والعادات الإسلامية، وأصبحت المواجهة بالكلمة لا بالسيف، فوجهوا حملات الغزو الفكري والتشويه المتعمد للثقافة والتاريخ الإسلامي؛ لإقصاء المسلمين عن دينهم وحضارتهم، ولتقريبهم من الحضارة الغربية، فحاولوا فرض مذاهبهم الفكرية بما فيها من اضطراب وتعارض، حتى يذوب كيان المسلم، ويصير تابعاً لغيره، خاصة "وأن الشعوب العربية والإسلامية لديها طاقات عظيمة، وقدرة على العطاء والإنجاز لا

(١) سورة المدثر، الآية: (٣٨).

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، عبد الملك العصامي، ج ١، ص ٣٣٧، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

يستهان بها، ويجب عليها أن تعي بأن التحدي اليهودي قادم لا محالة، وهو تحدّ حضاريّ عقائديّ، فمشروع السوق الشرق أوسطية؛ يراد به تذويب النظام الإقليمي العربي في النظام الشرق أوسطي^(١)، الأمر الذي يتطلب من الدعاة وقفة منهجية أمام تيارات التهميش، ومحاولة النيل من مكانة النظام الإسلامي، وبيان خطورة اندفاع الشباب تجاه تغريب ذواتهم، والذي يأسر فكرهم وسلوكهم، مما يؤدي إلى انقطاع صلتهم بهويتهم التي تحدد أسلوب حياتهم حتى على مستوى المظهر الشخصي.

كان أعداء الإسلام على وعي تام منذ البدء بأن اللغة العربية هي حصن هذه الأمة عبر تاريخها الطويل، "فحرب اللغة العربية هدف كبير من أهداف أعدائنا، لأن قتلها إبعاد للمسلمين عن القرآن الكريم، أي إقصاؤهم عن سر نجاحهم وفلاحهم، وهو تمسكهم بالإسلام"^(٢)، ومن هنا كانت سهام التغريب موجهة بكل دقة إليها حتى أصابتها، ورأينا زحف اللغات الأجنبية على واجهة المحلات في بلاد المسلمين، حتى ابتعدوا رويداً رويداً عن هويتهم الثقافية، وأصبحت العربية يتيمة في دارها، وهذا لا يليق بأمة تحرص على هويتها المستقلة، بل وتكالب كثير من المسلمين على تعليم أولادهم اللغات الأجنبية وإجادتها، وأن المستقبل لهذه اللغات، بل وأرسلوا أبناءهم إلى الدول الأوروبية للحصول على أعلى الشهادات العلمية من مدارسهم المختلفة، "حتى لا تكاد تخلو جامعة أوروبية أو أمريكية من معهد خاص للدراسات الشرقية أو الإسلامية والعربية، بل يوجد في بعض الجامعات أكثر من معهد للاستشراق، وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس لتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراة ممن سيواصلون المجال الأكاديمي الاستشراقي أو من غيره"^(٣)،

(١) الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات دراسة معاصرة لأبرز التيارات المناوئة للإسلام، مجموعة من المؤلفين، ص ٧٩، مركز الحمة، مصر، بدون: ت، ط.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د/ علي عبد الحليم محمود/ ص ٥٩، وهو من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٣٩٦هـ، دار الثقافة والنشر بالجامعة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، أد/ محمود حمدي زقزوق، ص ٦٠، كتاب الأمة رقم: (٥)، الطبعة الأولى/ ١٤٠٤هـ.

والتحق بهذه المعاهد عدد كبير من العرب والمسلمين الذين يعودون إلى بلادهم لتولي مهمة التدريس، ونحن لا نقلل من أهمية تعلم اللغات الأجنبية، ولكن يجب أن يتعلموا أولاً اللغة الأم وهي العربية، وإجادتها إجادة تامة، ومنحها الأولوية على جميع اللغات الأخرى، وإذا أردنا الحفاظ على هويتنا العربية؛ فعلينا أن نقف وقفة صادقة مع أنفسنا لنعيد حساباتنا مع لغتنا العربية، وعلى الدعاة تنمية الوعي القومي في نفوس المدعوين، وإقناعهم بأن هناك فرقاً شاسعاً بين تعلم علوم ولغات قوم وبين اعتناق هذه العلوم واللغات، والانتماء إليها، والنظر إليها بعين العزة والافتخار، وأنه لا بد من حدوث توازن في تدريس اللغة العربية واللغات الأجنبية، فلا تغطي الأخيرة على الأولى، ودون تهوين من شأن اللغة العربية، أو السلبية تجاه ما يراد بها من التدني والضعف والتهميش.

يعد التعليم من العناصر المهمة للحفاظ على الهوية الوطنية، وعلى الخصوصيات الثقافية لكل شعب من الشعوب، ويعد الدين أهم المكونات الأساسية لكل ثقافة وحضارة؛ لذا يجب أن يكون تعليم الدين الإسلامي هو الركيزة الأولى للحفاظ على الثقافة الإسلامية؛ لمواجهة العولمة الثقافية، ولكن للأسف أصبح التعليم الديني على الهامش في بعض البلدان، فأصبحت مادة الدين غير أساسية، ولا يأخذ الطالب عليها درجة في الاختبارات، وهذا ما سعى إليه الأعداء لاختراق الهوية للمسلمين، فحينما "كان الأمر بأيدي هؤلاء الأعداء؛ وجهوا كل اهتمامهم إلى هذا التعليم فأفسدوه، وفرضوا من خطتهم ومناهجهم وموادهم التعليمية ما يؤكد في نفوس المتعلمين احترام فكر الغرب وحضارة الغربيين وثقافتهم، وما يزرى بالفكر الإسلامي والحضارة والثقافة الإسلامية، ورموا بهذا الشر كل المدارس والمعاهد وأماكن التعليم في العالم الإسلامي كله، وما استعصى عليهم وعلى خطتهم إلا قليل من المعاهد والمدارس التي كانت تُعنى بدراسة الإسلام كالأزهر في مصر، وكبعض المساجد التعليمية في قليل من بلدان العالم الإسلامي"^(١)، وهذا يؤكد ضرورة

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د/ علي عبد الحليم محمود/ ص ١١٠ وما بعدها.

الحث على تطوير أساليب التعليم في بلادنا، وأن تصير مادة الدين على رأس المواد كلها، وتصبح هي الأساس، وألا يكون التعليم مرتكزاً على التلقين وحده دون وعي وفهم، وأن تُطور المناهج الدراسية حتى تتلاءم مع معطيات العصر الحديث، حتى نستطيع الحفاظ على هويتنا وثقافتنا الخاصة بنا.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده تعالى على ما منَّ به عليَّ من تيسير لهذا العمل المتواضع، وإني لأرجو أن أكون قد وفقت فيما أردت إظهاره وتجليته خلال هذه الدراسة، وقد تبين لي من خلال المعاشة لها بعض النتائج وهي كالتالي:-

النتائج

- (أ) تعزيز الهوية الوطنية من الأمور التي قررها الإسلام وأكدها.
- (ب) تعزيز الهوية الوطنية يتطلب ملاءمة وسائل الدعوة مع مستجدات العصر.
- (ج) الحفاظ على الهوية الوطنية لا يعني الانغلاق على الذات بعيداً عن الثقافات الأخرى.
- (د) الدعوة إلى استيعاب المستجدات لا يعني طمس الهوية الوطنية للشعوب، وإلغاء خصوصيتها.
- (هـ) الالتزام بالقوانين الوطنية التي لا تعارض الشرع؛ يعزز الانتماء للوطن ويقوّي الولاء له.

المصادر والمراجع

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة: ٢: ١٤٠٥هـ.
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود زقزوق، كتاب الأمة رقم: ٥، الطبعة: ١، ١٤٠٤هـ.
- الإسلام والغرب، محمود حمدي زقزوق، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
- تاج العروس، مرتضى الزبيدي، دار الهداية.
- التربية الوقائية في دعوة أولي العزم من الرسل وأثرها في مواجهة الانحراف، إبراهيم محمد السيد القط، رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص (الماجستير) في الدعوة والثقافة الإسلامية بكلية أصول الدين بالمنوفية، جامعة الأزهر، ١٤٣٨هـ، ٢٠١٧م.
- التعزيز في الفكر التربوي الحديث، عناية حسن القبلي، أمام للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٤م.
- (تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٩هـ.
- تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- (١٢): تفسير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويح، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
- الثقافة الإسلامية في مواجهة التحديات دراسة معاصرة لأبرز التيارات المناوئة للإسلام، مجموعة من المؤلفين، مركز الحكمة، مصر، بدون: ت، ط.
- جمهرة اللغة، الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط: ١، ١٩٨٧م.

- الحضارة الإسلامية حضارة متطورة غير عنصرية، عز الدين الخطيب التميمي، المؤتمر العاشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.
- الخطابة في موكب الدعوة، د/ محمود محمد عمارة، مطبعة نهضة مصر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.
- دعوة الرسل إلى الله تعالى، محمد العدوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ.
- سُنن أبي داؤد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مَحْمَد كَامِل قره، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ.
- السنن الصغرى، النسائي تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
- شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- طريقة تنظيم المجتمع في الخدمة الاجتماعية، نبيل صادق، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨٣م.
- علم الاجتماع التربوي، صلاح الدين شروخ، دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤م.
- الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د/ علي عبد الحليم محمود، مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٣٩٦هـ، دار الثقافة والنشر بالجامعة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م.
- الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- مجالات الدعوة في القران، عاطف محمد الفيومي، مكتبة أولاد الشيخ، الجيزة، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م.
- مستدرك الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي الهند،
١٤٠٣هـ.

معجم اللغة العربية المعاصرة، د/ أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب،
الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ.

المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة،
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

مقدمة التربية الإسلامية، د، محمود أبو دف، مكتبة آفاق، غزة، ٢٠٠٤هـ.
مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها، على أحمد مذكور، دار الفكر
العربي، ١٤٢١هـ.

منهج الدعوة في واقعنا المعاصر، د/ عبد الحميد الهنداوي، دار الآفاق
العربية، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد
الجهني، دار الندوة العالمية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠هـ.

الهوية والتعليم، سعيد إسماعيل على، عالم الكتب، القاهرة، ط: ١، ٢٠٠٥م.